مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية | المجلد7 / العـــدد: 25 (2023)، ص 42 -52

الباي محمد الكبير ومنجزاته التعليمية والدينية في بايلك الغرب الجزائري

The Great Bey Muhammad and his scientific and religious achievements in the Algerian West Beylik

بلعربي عبد القادر*
جامعة قسنطينة 3 صالح بوبنيدر (الجزائر)
abdelkader.belarbi@univ-constantine3.dz

تاريخ الاستلام: 2022/04/20 تاريخ القبول: 2023/01/20

● **الملخص:**

تسعى هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء عن شخصية الباي محمد الكبير أحد أشهر بايات بايلك الغرب الجزائري، وهذا من خلال إنجازاته على مستوى التعليمي والديني، وتكمن أهمية هذه الدراسة في أهمية العمل والنهضة الفكرية والثقافية التي قام بها أحمد باي الكبير، إذ عمل على بناء المدارس والزوايا و وتكوين نخبة مثقفة وواعية تحمل مشعل العلم والمعرفة.

الكلمات المفتاحية: محمد الكبير، بايلك الغرب، التعليم، المدارس، الزوايا

Abstract:

This research paper seeks to shed light on the personality of the great bey Muhammad al-Kabir, one of the most famous beys of the Algerian West, through his achievements on the educational and religious levels. And the angles and the formation of an educated and conscious elite that carries the torch of science and knowledge

Keywords: Muhammad al-Kabir, Beylik of the West, education, schools, angles

* **بلعربي عبد القادر**

- **مقدمة:**

يعتبر موضوع الباي محمد الكبير وإصلاحاته من المواضيع التاريخية المهمة كونهً يعالج فترة من فترات الوجود العثماني في بايلك الغرب الجزائري، فمنذتوليه الحكم فعرف بايلك الغرب عدة تحولات وتغيرات على مستويات مختلفة، وإشكالية هذه الدراسة تتمحور على التعرف على ميادين ومجالات الاصلاحات الباي محمد الكبير ومدى القفزة الحضارية خاصة على المستوى الديني والتعليمي كيف ساهم الباي أحمد الكبير في النهضة الدينية والتعلمية في بايلك الغرب؟

وتتفرع عن هذه الاشكالية مجموعة من التساؤلات:

- من هو الباي أحمد الكبير؟
- ما مظاهر الحياة الدينية والتعلمية خلال عصره؟
- ما هي أهم إسهاماته في المجال الديني والتعليمي في إطار مشروعه الحضاري؟

1. التعريف بالباي أحمد الكبير:

1.1 مولده:

ولد بمدينة مليانة المدينة[1]، خلال الفترة الممتدة ما بين 1734م، 1739م، أما عن عمره فيذكر صاحب الرحلة القمرية ابن زرفة ، أن عُمْرَ الباي محمد الكبير أنه تجاوز الأربعين وهذا زمن زلزال وهران في أكتوبر سنة 1790م[2]. يقول عنه ابن سحنون الراشدي في قوله: «السيد مُحمد بن عثمان الكردي نسباً ثم المليانى مولداً ثُمّ المعسكري منشأ ثم الوهراني أميرا»[3].

1. 2.صفاته:

وصفت المصادر المحلية والأجنبية الباي بعدة صفات، فتَميزت هذه بالحسنة، أشاد بها الكثير من الذين عاصروه من بلاط ديوانه على رأسهم ابن سحنون الراشدي الذي وصفه بقوله: "الأمير الْجامع لِمحاسن الأخلاق، الْمرتقي رتب الكمال على الإطلاق، ولا يُمكن بأي حال حصر فضائله، ولذلك قل معاندوه، وكثر حاسدوه ومعادوه"[4]، ويذكر الأسير تيدنا الذي كان خزندار في عهد الباي محمد الكبير قدم وصفا له بقوله: «... وكان مثل ما لاحظت شديد الانسانية وذا سلوك طيب بالإضافة إلى ثقافته الواسعة على خلاف الأتراك العثمانيين لأخرين ويحب كثيراً الأجانب»[5]، أما عن الصفات الخلقية كتب الآغا بن عودة في وصفه للباي أنّه كان رجلاً جسيما بالتجدير، أسمر اللون ومتوسط القامة لا بالطويل ولا بالقصير[6]، من هنا يتبين لنا أن هذه الصفات التي تميز بها الباي محمد الكبير قد جعلت منه شخصية قوية، كما زادت في شهرته وحب الرعية له.

---

[1] أحميدة عميراوي-الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني "مذكرات تيدنا نموذجا"-شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع-عين مليلة-الجزائر-د ت-ص-34.

[2] بلبراوات بن عتو-، الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، د ت.ص -94.

[3]- ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح وتق: الشيخ المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011. ص، 128.

[4] نفسه -ص-156.

[5] أحميدة عميراوي-المرجع السابق-ص-54.

[6] الآغا بن عودة المزاري-المصدر السابق-ص-290.

1. 3. ألقابه :

إن الباحث لشخصية الباي محمد الكبير يلحظ تعدد ألقابه ،فقد عرف بعدة ألقاب من بينها فقد لقب بالمجاهد والمنصور[1]، أبو عثمان، أبو علي، أبو مُحمد، أبو أحمد، أبو الفتوحات، أبو النصر، أبو المواهب، أبو الربيع، أبو الفتح[2]، **والكبير** والأكحل حيث كان يلقبه العرب في الناحية الغربية بهذا اللقب منذ أن كان صغيراً وذلك لشدة سمرته[3]، من الملاحظ أن هذه الألقاب معظمها ظهرت عقب فتح وهران عام 1792م دلالةً على انتصاراته وفتوحاته التي حققها[4].

1. 4. فترة حكمه ومناصبه:

من خلال هذا العنصر سوف نتطرق إلى مراحل تدرج الباي في المناصب وأثرها في تكوين شخصته العلمية، فتولي مناصب قيادية على مستوى المحلي في بايلك الغرب إلى أن اصبح بايا عليه، وفي مايلي نذكر أبرز هذه المناصب:

1. **4. 1 .منصب قيادة قبيلة فليتة:** تذكر المصادر التاريخية في بايلك الغرب أن هذا المنصب من أعظم المناصب بعد منصب خلافة الباي، إذ تكمن أهميته أن صاحبه مرشح ليتولى منصب خلافة الباي ومنصب الباي إذا أعانه الديوان بمدينة الجزائر[5]، فقد تولاه لمدة ثلاث سنين أظهر من خلاله براعة على تسيير شؤون قبائل فليتة[6].فعندما ارتقى الباي إبراهيم وعُيّن بايا على بايلك الغرب 1759-1775م أخذ معه صهره محمد الكبير وجعله قائدا على قبيلة فليتة 1178هـ/1765م[7]، وعليه فإن أولى مناصب محمد الكبير قيادته لقبيلة فليتة الذي يعتبر بمثابة الامتحان.

1. 4. 2. منصب خلافة الباي: منصب خلافة الباي هو ثاني منصب توله أحمد الكبير، حيث لما وجده الباي إبراهيم قام بواجبه أحسن قيام وأظهر براعة في الحكم من إصابة التفكير وحسن التسيير، عينه خليفة له سنة 1182هـ/1768م حيث يقول في ذلك ابن سحنون: «ليكفيه المؤونة ويصلح له شؤونه ويشاركه بالحكم في نصف ايالته وشرقي عمالته ...»[8]. وبذلك تم منح مُحمد بن عثمان إدارة جميع الناحية الشرقية من الإيالة الغربية، اتخذ مقرَّه بمليانة[9].

---

[1] بلبراوات بن عتو-المرجع السابق-ص-113.

[2] محمد بن يوسف الزياني-دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران-تح: المهدي بوعبدلي-دار المعرفة الدولية-الجزائر-2013،ص،269.

[3] أحمد توفيق المدني- محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791م) سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986. -ص-40.

[4] بلبراوات بن عتو-المرجع السابق-ص-113.

[5] نفسه -ص-122.

[6] ابن سحنون الراشدي-المصدر السابق-ص-134.

[7] نور الدين عبد القادر-الم عبد القادر نور الدين، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، دار الحضارة، بئر توتة، الجزائر، 2006. -ص-120.

[8] ابن سحون الراشدي المصدر السابق-ص-134.

[9] أحمد بن هطال التلمساني-المصدر السابق-ص-18.

1. **4. 3. منصب الباي** : هوأعلى منصب في بايلك الغرب حيث تولى المنصب، بعد وفاة الباي الحاج خليل استجاب الداي محمد بن عثمان باشا لرغبة الرعية وعين محمد بن عثمان الكردي بایاً على بيالك الغرب سنة 1779م[1]، وتمكن محمد بن عثمان من الفوز بهذا المنصب لعدة أسباب منها:

- **الحنكة السياسية** :تمرسه في الحكم لمدة طويلة ابتداءً من الاشتغال في ديوان إبراهيم المليانى إلى توليه منصب خلافة الباي.
- **الاخلاق** :أخلاقه الفاضلة وحرصه على خدمة الرعية الشيء الذي أكسبه شعبية واسعة دعمته للظفر بمنصب الباي،
- **الشجاعة:** حيث تميز بشجاعته وحسن تدبيره أثناء ممارسته لمهنته ومواقفه الحازم،إقدامه على العلم والفروسية، امتلاكه لثروة مالية صغيرة[2].

1. **4. 4. وفاة الباي محمد الكبير:** توفى الباي محمد الكبير بعد أيام من فتح مدينة وهران وعين مكانه ابنه عثمان، ويقول الآغا بن عودة المزاري:«توفي الباي محمد الكبير ببلاد الصبيح حال إقباله من الجزائر على الصحيح سنة لـ 1798-1799م، بعد ما ملك عشرين سنة ولما طار خبر موته لأهل الجزائر بعثوا لابنه عثمان فسار حثيثا إليهم بعدما بعث أباه إلى وهران وأوصى بدفنه بالمدرسة بالموضع المسمى خنق النطاح»[3]، ويقول عنه مسلم بن عبد القادر الوهراني في كتابه أنيس الغريب والمسافر يقول: «أنّه حكم ثمانية عشر سنة وحدد سنة وفاته في 1796م»[4]

أما فيما يتعلق بمكان وظروف وفاته يقر جميع المؤرخين دون استثناء أن الباي محمد الكبير قد توفي وهو عائد إلى وهران بعد تأديته الدنوش إلى داي الجزائر ببلاد قبيلة السائح بن خضرة كبير أولاد قصير قرب مازونة وحمله أولاده ميتاً إلى وهران، ويوجد افتراضين لوفاته، الأول مفاده أن الباي مات فجأة من غير مرض، والثاني أنّه مات بالسم بتحريض من الداي حسن[5].

2. مظاهر إهتمامات بالحياة الدينية والتعليمة:

2. 1. إهتمامه بالعلم والعلماء:

كان يعامل رعيته خاصة العلماء منهم وفق الشريعة الاسلامية بإعطائهم لكامل حقوقهم فلم يَظلم أو يُظلم أحد تحت حكمه بل كان يكرمهم ويحسن إليهم، فشعاره في ذلك العدل أساس الملك[6]؛ فأدرك أهمية العلم وصحبة العلماء في استمالة الرأي العام وزيادة شعبيته بين رعيته، وأنها شرط ضروري لأي حاكم من أجل تطبيق وإنجاح مشاريعه الفكرية والعلمية، لهذا كان يحرص على تبجيل ورعاية العلماء وتوفير لهم كل مقومات الراحة[7] ونظراً لمكانة ومنزلة هؤلاء العلماء عنده كان يستشيرهم في القضايا والقرارات الهامة وينزل

---

[1] ابن سحنون الراشدي-المصدر السابق-ص-135.

[2] بلبراوات بن عتو-المرجع السابق-ص-132.

[3] – الآغا بن عودة المزاري-المصدر نفسه-ص-297.

[4] – مسلم بن عبد القادر الوهراني-أنيس الغريب والمسافر-تح وتق: رابح بونار-الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر-1974-ص- 26.

[5] – بلبراوات بن عتو-الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري-مرجع سابق-ص-145.

[6] – قدور بوجلال- بوجلال قدور، مظاهر التقارب والقطيعة بين العلماء والسلطة العثمانية في بايلك الغرب فترة الدايات 1671 – 1830م، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية، جامعة وهران 1، 2016 -2017.-ص- ص-213- 214.

[7] – انفسه-ص-214.

عند رغبتهم[1]، وقد عبر عن ذلك ابن هطال التلمساني بقوله: «كان يعظم العلماء فشيد لهم المساجد ورتب لهم مرتبات زيادة على المنح والهدايا التي يفاجئهم بها في الأعياد والمناسبات»[2]، ويقول أبو راس الناصري : « ... معناه أن المنصور بالله إنما يصنع أقواله الأمرية وأحكامه الشرعية في شؤون رعيته، ونوازل قضيته في محلها لعدله وعمله، لا يعمل شيئاً في غير محله»[3].

هذا ما يتضح من قول طالبي عطاء الله: «...كانت طبيعة الحكم العثماني هو الاعتماد على المرابطين والعلماء في وقت الشّدة، باعتبار هؤلاء يمثّلون الرأي العام ويؤثّرون بالنصح والموعظة والنفوذ الروحي على العامّة، وقد عرف عن بعض الحكّام أنّهم كانوا من الذين يقرّبون العلماء ويعفون المرابطين والاشراف من دفع الضرائب ويهادنونهم ...»[4].

بعد أن كان العلماء لا ينتفعون من ناحية المخزن بشيء إلا من كان مستعملاً في خدمته، فتيسرت بذلك حال العلماء وانشرحت الصدور للقراءة، وشرهت لها النفوس، وكثُر طلبة العلم، فتشوق بذلك كل واحد للتدريس واشتد الحرص على العلم[5].

كما أكرم العالم المغربي أبو القاسم الزياني صاحب "الترجمانة الكبرى" عندما نزل بوهران، ولربما يكون ذلك من باب الاحترام أو من أجل جلبهم إلى بايلكه للاستفادة من علمهم[6].

وبهذا كان الباي محمد الكبير محبا للعلم والعلماء حيث شجع حركة العلمية في بايلك، وهذا باثبات معظم العلماء في تلك الفترة امثال ابو راس الناصري ، سحنون الراشدي ....

2.2. تشجيع حركة النسخ والتأليف

عرفت حركة التأليف نشاطا وحركية في العهد العثماني فلا نكاد نجد عالم إلا وله قائمة من المؤلفات عبارة عن شروح وحواشي وتعاليق ورسائل وفهارس في علوم عدة [7]، ففي بايلك الغرب يعد الباي محمد الكبير من أشهر البايات الذين شجعوا هذا العمل الثقافي الجاد إذ أمر باختصار الكتب المطولة ونسخ المخطوطات النادرة وبعث التأليف في علوم شتى مع تكريم القائمين بذلك من الطلبة الأكفاء وكتابه وعلمائه النزهاء، إذ كلف مصطفى بن عبد الله (ابن زرفة) بتدوين أحداث الجهاد عن فتح وهران الثاني فشرع الكاتب باستقصاء أخبار الجهاد من أفواه الرواد ويجمعها من الرسائل التي كان يبعثها الباي محمد الكبير إلى الشيوخ المرابطين، فألف "الرحلة القمرية في السيرة المحمدية"[8] ومن من أهم المؤلفات التي طبعت في عصره نذكرها في مايلي:

---

[1] – مسلم بن عبد القادر–المصدر السابق–ص–23.

[2] – أحمد بن هطال التلمساني– التلمساني أحمد بن هطال، رحلة الباي محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تح وتق: محمد بن عبد الكريم، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004 –ص–26.

[3] – أبو راس الناصري– عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج 1، تح: بوزكية مُحمد، منشورات وزارة الشؤون والأوقاف، تلمسان، 2011 –ص–513.

[4]– عطاء الله طالبي–علاقة الحكام الأتراك برجال الدين والعلماء في الجزائر 1656– 1830م–بحث في منهجية الدراسات المعمقة–معهد العلوم الاجتماعية–الجزائر–1980–ص–18.

[5] – ابن سحنون الراشدي–المصدر السابق–ص–143.

[6]– مولاي بلحميسي–الجزائر من خلال رحلات الغارة في العهد العثماني–ط 2–الشركة الوطنية للنشر والتوزيع–الجزائر–د ت –ص–21.

[7]– بلبراوات بن عتو–الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري–مرجع سابق–ص– ص–346– 347.

[8]– فسه–ص– ص–355– 356.

اختصار كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني ،الراشدي بتأليف كتاب "شرح العقيقية، وكتاب"الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"،كتاب "رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي الجزائري،"الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر ابن رقية التلمساني

كتاب "عجائب الاسفار" ، وكتاب فتح الإله لمحمد أبي راس الناصري المعسكري[1].

3. إنجازاته الدينية والتعليمية :

ارتبط الوضع الثقافي والحياة الفكرية في بايلك الغرب الجزائري بالمؤسسات التعليمية، فبايلك الغرب خلال حكم الباي محمد الكبير شهد العديد من المنشآت الثقافية التي كان لها الدور الكبير في توعية وتثقيف المجتمع، ومن بين تلك المؤسسات نذكر مايلي:

3. 1. المساجد والجوامع:

تحتل المساجد في المناطق العربية والاسلامية مكانه هامة في المجتمع، ولأهميتها شيدت العديد من المساجد والجوامع في بلك الغرب الجزائري، فشرع الباي محمد الكبير في تشييدها وترميمها خاصة بمعسكر ووهران ومستغانم وفي مايلي نذكر اهمها:

3. 1.1 .مدينة معسكر

تعد مدينة معسكر أحد اهم مدن بالك الغرب وانتشرت بيها عده مساجد وازدهر نشاطها خاصة في عهد الباي محمد الكبير :

- **المسجد العتيق:**

يعد هذا المسجد من أقدم مساجد معسكر وأهمها على الإطلاق[2]. فشرع الباي محمد الكبير في اتخاذ إجراءات إصلاحية ترميمية بخصوص هذا الجامع، فأمر بهدمه وإعادة بناءه من جديد وذلك لما لحق به من أضرار كبيرة، كما قام أيضا بتوسيع مجاله رغبة منه في زيادة مساحته[3]، عرف هذا المسجد عدة تسميات فأثناء الاحتلال الفرنسي كان يسمى مسجد المبايعة، وعرف أيضا بمسجد سيدي حسن[4].

- **الجامع الأعظم** : يعدّ تحفة معمارية هامة نال إعجاب الناس في تلك الفترة على حسب تعبير ابن سحنون الراشدي: «أنه من عجائب هذا البلد كان يقصده الناس للتنزه والتعجب»[5]. شيده الباي محمد الكبير بحاضرة معسكر وذلك في عام 1781م من ماله الخاص وعلى أرض اشتراها بأغلى الأثمان[6]، وعرف باسم جامع عين البيضاء أو جامع الباي محمد الكبير[7].

3. 1. 2.مدينة وهران: ومن بين هذه المساجد نذكر ما يلي:

---

[1]- نفسه -ص- ص-357- 358.

[2] مختار بونقاب-الحياة الثقافية في بايلك الغرب خلال القرن 18 و19م-مذكرة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصرقسم العلوم الإنسانية-كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية-جامعة الجيلالي يابس-سيدي بلعباس-2015- 2016-ص-60.

[3] المدني أحمد توفيق-محمد عثمان باشا داي الجزائر (17661791م) سيرته-حروبه-أعماله-نظام الدولة والحياة العامة في عهده-المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر-1986.-ص-140.

[4] بلبراوات بن عتو-الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري-مرجع سابق-ص-330.

[5] ابن سحنون الراشدي-المصدر السابق-ص-137.

[6] سعدية رقاد-"الحواضر العلمية في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني"-**مجلة العصور الجديدة**- ع 23-جامعة وهران-أوت-2016-ص-369.

[7] أحمد مريوش-الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني-المؤسسة الوطنية للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و الثورة الجزائرية-الجزائر-2007-ص-27.

- **جامع الباي محمد الكبير (بالناصف) :**

أنشأه الباي محمد الكبير بعد الفتح النهائي لوهران سنة 1793م[1]، يقع في سهل خنق النطاح إلى الشرق من مدينة وهران، كان بمثابة منارة للعلم والتعلم وضريحا له ولأهله بعد وفاته[2]، يُعرف **مسجد الباي** عند الناس بإسم جامع بالناصف نسبة للشخص الذي كان به وكيلا وبأموره قائما كفيلا[3]، أقيم هذا المسجد عند مدخل المدينة وبخصوص بنائه يقول في ذلك الزياني: «أنه بعد فتح وهران أمر بهدم الأبراج وبنى بالموضع الذي أوقف به فرسه عند الباب ... مسجدا للصلاة الخمس والجمعة ويعرف عند الناس الآن بجامع بالناصف»[4]، استمر هذا المسجد في أداء دوره ورسالته الدينية والثقافية تسعة وثلاثون عاماً إلى أن احتل الفرنسيون المدينة عام 1831م وحولوه إلى مستشفى عسكري لسنوات عدة[5].

- **الجامع الأعظم أو جامع الباشا:**

يقع على الضفة اليمنى لوادي الرحى قبالة قصر الباي المعروف بالقصر الأحمر[6]، فأسس الباي محمد الكبير **جامع الباشا** عام 1790م بأمر من باشا الجزائر الداي بابا حسن تخليدا لفتح وهران الثاني[7]، تكفل بمصاريف إنجازه حسن باشا، وتم الانتهاء منه سنة 1796م[8]، فيعد الجامع الاعظم من أعظم الانجازات الدينية في فترة حكمه.

4. 2.المدارس والمكتبات:

أولى الباي محمد الكبير اهتماما كبيرا بالمدراس والمكتبات وذلك اطار مشروعه التعليمي والديني في باليلك الغرب الجزائري.

3. 2. 1. المدارس:

هي المكان المخصص لإلقاء الدروس لا توجد الا في بعض المدن الرئيسية كمعسكر وهران وتلمسان، كانت بهذه المدارس غرف لإيواء الطلبة وعابري السبيل[9]، لا عكس الزوايا والاضرحة التي كانت منشرة في كل ربوع باليلك الغرب ومن أهم المدارس التي بناها الباي محمد الكبير نذكر:

- **المدرسة المحمدية :**
- شيد الباي محمد الكبير **مدرسة الحايطة** وأسس الباي محمد الكبير فاتح وهران المدرسة المحمدية التي تحمل اسمه، فبنائها كان على تقاليد التعليم الاسلامي عموماً، فيبدو أنّ المدرسة كانت في الدرجة الثانية بالنسبة للجامع[10]، لذا اطلق عليها المدرسة المحمدية نسبة إلى الباي محمد الكبير وألحقت بالجامع الأعظم في ما بعد.

---

[1] مبروك مهيرس-المساجد العثمانية بوهران ومعسكر-ديوان المطبوعات الجامعية-بن عكنون-الجزائر-د ت-ص-39.

[2] توفيق خرواع-"مسجد وضريح الباي محمد الكبير بوهران من خلال الكتابات الأثرية"-**مجلة منبر التراث الأثري**-ع 1-جامعة سيدي بلعباس-أفريل-2013-ص-114.

[3] الآغا بن عودة المزاري-المصدر السابق-ص-293.

[4] محمد بن يوسف الزياني-دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران-تح وتق: الشيخ المهدي بوعبدلي-ط 2-دار المعرفة الدولية-الجزائر-2013-ص-265.

[5] يحيى بوعزيز-المساجد العتيقة في الغرب الجزائري-ط 1-منشورات الوكالة الوطنية للنشر والاشهار-الجزائر-2004-ص-53.

[6] علي بوتشيشة-المنجزات المعمارية للباي محمد الكبير في وهران- **مجلة العصور الجديدة**- ع 7 8-جامعة الجزائر 2-2013-ص-216.

[7] يحيى بوعزيز-مدينة وهران عبر التاريخ-مرجع سابق-ص ص-94 95.

[8] الآغا بن عودة المزاري-المصدر السابق-ص-295.

[9] ابن ميمون الجزائري-المصدر السابق-ص-59.

[10] أبو القاسم سعد الله-ا تاريخ الجوائر الثقافي ....لمرجع السابق-ج 1-ص-281.

- **مدرسة خنق النطاح:**

تقع مدرسة خنق النطاح شرق مدينة وهران غير بعيدة عن الواجهة البحرية بالحي المسمى قديماً خنق النطاح، بناها الباي عقب فتحه لمدينة وهران 1207هـ/ 1792م، وكانت هذه المدرسة للطلبة جزاء مساهمتهم في استرجاع وهران[1]، وفي هذا السياق يقول الآغا بن عودة في كتابه طلوع سعد السعود: «بنا هذه المدرسة الجليلة العظيمة بخنق النطاح التي بها ضريحه وتعرف الآن بالمدرسة»[2].

3. 2.2.المكتبات

ومن أشهر هذه المكتبات التي أنشأها الباي محمد الكبير خلال العهد العثماني نذكرها كالآتي:

- **مكتبة الجامع الأعظم أو المكتبة المحمدية:**

هي المكتبة التي أسسها الباي محمد الكبير بجوار الجامع الأعظم وتعرف بالمكتبة المحمدية، كانت مجهزة بكل الوسائل التعليمية والثقافية لاسيما قاعات المطالعة التي يقصدها الطلبة والقراء[3]، وقد عبر عن ذلك ابن سحنون الراشدي قائلاً : «وحبس عليه خزانة كتب هي في البيت التي بناها لأجلها خارج بعض زواياه بابها فيه»[4].

- **مكتبة الباي محمد الكبير:**

هي مكتبة ضخمة ومتنوعة تحتوي على مختارات من شتى المخطوطات والكتابات، فقد كان الباي لا يكتفي بمخطوطة واحدة في خزانته بل يأمر بنسخ عدة مخطوطات[5]، خاصة النادرة منها لتكون في متناول جميع المثقفين، وكان ينفق الأموال الكثيرة في شراء واقتناء المخطوطات النفيسة، ليضعها في خزانته أو يحبسها لطلاب العلم[6].

إن مصير هذه المكتبات لم يكن دائما آمن فقد ضاع وتلف الكثير منها في الحروب، إذ لا يمكننا إغفال ما قامت به جيوش الاحتلال الفرنسي في هذا الشأن من عمليات التخريب والإهمال[7].

إن تشيد المكتبات في بلك الغرب كانت في اطار المشروع التعليمي والديني للباي مجمد الكبير إلا أنها اقتصرت على بعض المدن فقط.

3.3. الرباطات والأضرحة:

تعتبر الزوايا والاضرحة من أكبر الأماكن التي يقصدها الناس، لعدة اعتبارات منها الايمانية، والجهادية، ولهذا ساهم الباي في تعزيزها، فقد انتشرت الزوايا الاضحة في كل نواحي بايلك الغرب الجزائري

3.3. 1.الأضرحة :

---

[1] بوعبد الله بلجوزي-"المدارس التعليمية في عهد الباي محمد الكبير-دراسة تاريخية وأثرية"-**مجلة القرطاس**-م 3- ع 6-جامعة تلمسان-جوان 2017-ص-196.

[2] الآغا بن عودة المزاري-المصدر السابق-ص-294.

[3] بلبراوات بن عتو-الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري-مرجع سابق-ص-332.

[4] ابن سحنون الراشدي-المصدر السابق-ص-136 .

[5] أحمد بن هطال التلمساني-المصدر السابق-ص-27.

[6] المصدر نفسه-ص-27.

[7] أبو القاسم سعد الله-المرجع السابق-ج 1-ص-299.

أبدى الباي محمد الكبير اهتماما كبيرا بالزوايا من خلال العناية بشيوخها وبأضرحة بعض روادها، لذلك عمل على ترميم وبناء مشاهد للأولياء الصالحين[1]، ومن بينها نذكر مايلي:

- **بناء ضريح الولي الصالح محمد بن عودة:**

بنى الباي محمد الكبير قبر للولي الصالح السيد محمد بن عودة، وقد عبر عن ذلك ابن سحنون الراشدي بقوله: « وبنى مشهد الولي الصالح الذي اشتهرت ولايته في البلاد حتى أمته الزوار من كل واد ذي الكرامات المتصلة على ممر الأحيان والبركات التي شهر بها العيان والفضائل المشهودة السيد محمد بن عودة نفعنا الله به وجعلنا من المتعلقين بسببه بناء عجيبا زين به الضريح بهاءا، وقاد له الزوار قهرا»[2].

- **ضريح السيد أحمد بن يوسف الملياني صحاب مليانة:**

بنى ضريح السيد أحمد بن يوسف الملياني دفين مليانة حيث يقول في ذلك ابن سحنون الراشدي:» وقد كان بنى مشهد الولي الأجل السيد بن يوسف دفين مليانة»[3].

تجديد ضريح أبي مدين ولي تلمسان:

ضريح الشيخ سيدي بومدين يعد أشهر ولي في الغرب الجزائري، ويحتل ضريحه مكانه هانة حسب المعتقدات في المنطقة،[4] قام الباي بإعادة ترميم وتزيين وذلك بعد الحريق الكبير الذي أتى عليه، كما أوردته الكتابة الأثرية للضريح «الحمد لله أمر بتنميق هذه الروضة المباركة المشتملة على ضريح الشيخ سيدي أبي مدين أدركنا الله برضاه الأمير عبد القادر السيد محمد باي أيده الله ونصره وجعل الجنة منزله»[5].

أولي الباي محمد الكبير اهتماما بالغا بأضرحة الاولياء، فعمل تشيدها نظر لمكانه اصحابها، في الاوساط الشعبية من جهة ومن جهة اخرى مكانة ودور الاضرحة عند الناس.

. 3.3. 2.الرباطات :

تعتبر الرباطات من الاماكن التي ساهمت في نشر المعرفة وتدريس شتى العلوم خاصة الدينية كتحفيظ القرآن الكريم، إلى جانب وظيفتها العسكرية المتمثلة في العمليات الجهادية ضد الاسبان[6]، والرباط أصلها ربط الخيل واللفظة مأخوذة من الربط مصدر رابط يرابط بمعنى أقام ولازم مكانه[7]. والرباط ذكر في القرآن الكريم في سورة آل عمران لقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمتُفلِحُونَ ٢٠٠ ﴾[8].

---

[1] بلبراوات بن عتو – المرجع السابق–ص–395.

[2] ابن سحنون الراشدي–المصدر السابق–ص–141.

[3] المصدر نفسه–ص–141.

[4] عبد القادر بلعربي، ظاهرة الاضرحة والزوايا في بايلك الغرب الجزائري خلال الوجود العثماني، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث ، جامعة سيدي بلعباس، 2021.

[5] أبو راس الناصري– فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تح: محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990. –ص–75.

[6] سعدية رقاد–المؤسسات العلمية في بايلك الغرب الجزائري ...–المرجع السابق–ص–101.

[7] خديجة موصدق–"الرباط في مدينة وهران وبعده الثقافي والعلمي"–**المجلة الجزائرية للمخطوطات**– ع 12–جامعة وهران–جانفي 2015–ص ص–316 317.

[8] سورة آل عمران–الآية (200).

ونظرا لأهمية الرباطات الظروف الراهنة في تلك الفترة من تحرشات أوربية ،قام الباي محمد الكبير بإحيائها من خلال نشر ثقافة الجهاد والتضحية ، وعلى اثر ذلك استحدث مجموعة من الرباطات من أهمها:

- **رباط كدية صلب الكلب:**

ويقع في السفح الشمالي الشرقي من طريق المرسى الكبير ليس بعيدا عن البحر وهو عبارة عن مغارة كبيرة اتخذها بعض الزهاد مكان للعبادة خلال العصور الإسلامية المتقدمة[1].

- **رباط جبل المائدة:**

يذكر صاحب الثغر الجماني أن هذا الرباط تأسس على يد محمد الكبير وهو في الأصل عبارة عن مَجموعة من المغارات تركز بها بعض المجاهدين من الطلبة والعلماء أمثال الشيخ محمد بن عبد الله الجيلالي وغيره[2].

● خاتمة:

من هنا يتضح لنا أن الباي محمد الكبير لعب دوراً هاماً في نشر العلم والثقافة بعد مرحلة من الركود والجمود وذلك من خلال تشييده للمؤسسات التعليمية والدينية، من مساجد ومدارس وزوايا ورباطات، كان لها الأثر الفعال في الحراك الفكري والثقافي، في بايلك الغرب، حيث أصبحت المنطقة مقصدا للطلبة من داخل البلاد وخارجها، إذ تعتبر هذه الفترة بمثابة الفترة الذهبية خاصة على المستوى الديني والتعليمي والتي هي بحاجة الى مزيد من الدراسات الأكاديمية.

[1] يحيى بوعزيز-"ماضي مدينة وهران وأمجادها التاريخية"-**مجلة الثقافة**- ع 52-الجزائر-جويلية أوت-1979-ص ص-55 56.

[2] يحيى بوعزيز-موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب-المرجع السابق-ص-113.